

تقرير

برنارد شو على رصيف حلبوننة: الحرب تملت موت الكتاب

دمشق - سناء إبراهيم

بحدثنا أحد المترجمين السوريين ممن تبقيوا في البلد، عن حادثة جرت في عام 2004، عندما جاء عسكري إلى منزله ليسلمه مذكرة تبليغ للحضور إلى فرع فلسطين في البرامكة. العسكري كما وصفه المترجم شاب لطيف وخجول، جلس العسكري في غرفة المكتبة، وعلى الحائط المقابل تماماً لمكان جلوسه، وقع نظره على صورة لكارل ماركس كانت قد عُلقت أعلى المكتبة. يقول المترجم:

سألني الشاب: مين هاد؟ أجبتة: هاد كاتب.

أردف قائلاً: هاد كبير، ما هيك؟ ليستطرد: من وين هاد الكاتب؟ أجبتة: من ألمانيا. سألني مزة أخرى: ألمانيا هي بعيدة ما؟ أجبتة بهزة من رأسي، نعم. شرب العسكري قهوته، واستأذني الذهاب، وقبل أن يصل عتبة الباب: التفت إلي قائلاً: ممكن أسالك سؤال: ليش كل اللي بيستدعونهن على الفرع عدنن كتب؟

بعد سطوة زائر الفجر على مقتني الكتب والقراء، وبعد اعتبار القراءة تهمة، جاءت الحرب المجنونة لتسطو على الكتب والمكتبات، ليخترق الرصاص صفحات الكتب ويغتال أبطال الرواية. باتت حال الكتب كحال الناس، تعاني الموت والانتكأ والعزلة. مكتبات ضخمة ضاعت تحت الركام، لم يلتفت إلى حزن أبطالها سوى مؤلفيها ومن يقتنيها.

القرآن يدير ظهره للإنجيل

حدثنا المترجم زياد الملا (مترجم بليخانوف) عن مكتبته التي ضاع معظمها كمن يحتضر: هناك في القابون حيث كنت أسكن، كنت سعيداً في مكتبتي التي كانت مكاناً لطعامي وشرابي ونومي ودراستي وترجمتي. كنت أستمتع بالنظر إليها، أملاً عيني بعناوينها. لم يرسم الواقع لي صورة سيئة عن الوضع رغم التحذيرات المتواصلة التي تدعوني إلى بيع المنزل والخروج. تمسكت بالبقاء، إلى أن خرجت مجبراً تحت القصف الذي طال في ما بعد المنزل وأحاله إلى ركام. نسأله، ماذا حلّ بالكتب؟ حوّلها إلى سجادة غطت أرض الغرفة. بعد ثلاثة أيام على القصف عدت لآتفقد المنزل. أخبرني الجيران أن البيت تم تعفيشه (سرقته) قبل أن ينال منه القصف. يقول زياد: وجدت كتباً منها مفتوحة على الأرض تفرقع ضحكاتنا، كتب أخرى كانت مغلقة تنتحب وتبكي، إلى جانبها

كتب غطت وجهها بكتب أخرى. في الزاوية المقابلة أدار القرآن ظهره للإنجيل، وكذلك فعل الإنجيل، وقد فتح كل منهما صفحاته باتجاه السماء. يبدو الكتابين كما لو كانا في حالة خصومة، تماماً كما هي حال أتباعهما الآن على الأرض. المقدس الذي أشعل الحرب لم يشغل اهتمام أحد سوى أرضية الغرفة.

موت الخجل...

ما لم تسط عليه الأزمة سطا عليه موت الخجل. على رصيف حلبوننة (البرامكة - دمشق)، وجدت على الصفحة الأولى من أحد الكتب إهداء بتوقيع الفنان الراحل هاني الروماني، جاء فيه: «من هاني الروماني إلى الصديق العزيز... أهدي هذا الكتاب». الكتاب الذي من المفترض أن يكون في مكتبة المهدي إليه، بات مكانه على رصيف الكتب التي تباع بأثمان رخيصة. في الاستفسار عن الموضوع، أخبرنا بائع الكتب أن ابنة الصديق المهدي إليه قد باعته الكتاب من ضمن مجموعة من الكتب تعود لوالدها، مع تكتم شديد أصّر عليه البائع، من دون أن نعلم ما السبب أو ما العائد الذي ستجنيه فيما لو كان السبب مادياً.

جورج برنارد شو، الكاتب والمسرحي الإنكليزي (1856 - 1950)، كان قد تعرّض للموقف ذاته عندما توجه إلى إحدى المكتبات التي تبيع كتباً مستعملة، فوقع نظره على كتاب يحوي بعض مسرحياته القديمة، وعندما فتحه هاله أن يرى النسخة التي كان قد أهداها إلى صديق له، وكتب عليها بخط يده: «إلى من قدر الكلمة الحرة حق قدرها، إلى الصديق العزيز مع أحرّ تحيات برنارد شو». فما كان من «شو» إلا أن اشترى النسخة مجدداً وكتب تحت الإهداء الأول: «جورج برنارد شو يجذّ تحياته الحارة إلى الصديق العزيز الذي يقدر الكلمة حق قدرها»، وأرسل النسخة بالبريد المضمون إلى ذلك الصديق.

نيك الملحم سينفذ (ميرسول)

فيما لو دخل أحد الفصائل المسلحة منزله في المستقبل وخيّر ما بين الثلاجة والمكتبة، يقول الروائي السوري نبيل الملحم، حتماً سأختار الثلاجة؛ فالثلاجة بالنسبة إلى الملحم أهم من مكتبته التي تضم 10 آلاف كتاب. نسأله، لو أتيج لك أن تنفذ كتاباً واحداً، ما هو الكتاب الذي ستنقذه؟ يجب: «مكتبتي عبء علي، تزعجني راحتها، هي فقط جزء من ماضي، لا أحب أن أبذ الماضي، لكنني سأنقذ «ميرسول»»

بطل البير كامو في رواية الغريب، وما السبب؟ «لأنه يشبهني»، يجيب. وبماذا يمكن أن تحتفظ أو تنقذ من مكتبتك أيضاً؟ - أنقذ هادي العلوي. لماذا؟ لأنني «أخو قحبة».

يغضب كي يستريح

إذن تعالوا إلى أصل الحكاية: كان الباحث هادي العلوي يعاني من الربو، وكانت لديه عادة أن يطلب من أصدقائه أن يحكوا له شيئاً يجعله يفعل، فالانفعال بسبب له يسراً في التنفس، والأصدقاء ما كانوا يتأخرون عن نجدته بالقصص المستفزة. الكاتب نبيل الملحم صديق العلوي، روى لنا كيف جعل هادي يغضب عندما قال له «يا أخو حسن العلوي»، وكان معروفاً عن هادي أنه لا يحب أخيه، وبينهما عداوة كبيرة، فما إن سمع اسم أخيه، حتى غضب وأطلق سيلاً من الشتائم لصديقه، بما فيها «انت أخو قحبة».

الملوحى... بأع كئيبه وإبطاله

يسترجع المترجم زياد الملا بعضاً من ذكرياته مع الشاعر السوري عبد المعين الملوحى (1917 - 2006). كيف كان يعتني بمكتبته، وينظر إليها كما لو أنها قطعة من روحه،

تقرير

«الائتلاف» لا يقاطع دي ميستورا

ومع وفد من المملكة المتحدة لبريطانيا برئاسة سايمون غاس، المدير العام السياسي في وزارة الخارجية. وأشار البيان إلى أنه «ناقش إمكانية التوصل إلى حل سياسي مع الباحث السوري والناشط السياسي سمير تقي، الذي يشغل منصب المدير العام لمركز بحوث الشرق في دبي... والتقى مبعوث الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، هيثم المالح، الذي سلم المبعوث الأممي رسالة موجهة إليه من قبل الائتلاف تضمنت شرحاً وتوضيحاً لموقفهم بشأن سبل حل الصراع في سوريا». كما أكد البيان أن «دي ميستورا حثّ الائتلاف على الاستمرار في المساهمة في مشاورات جنيف».

في السياق، قالت المتحدث باسم المبعوث الأممي، جيسي شاهين، إن «30 جماعة من المعارضة المسلحة رفضت المشاركة في محادثات جنيف». ولفتت إلى أن هذه الجماعات بررت عدم مشاركتها بـ«فقدان دي ميستورا بحياده». وأشارت إلى أن «المسؤولين الدوليين يواصلون القيام بدورهم والإبقاء على قنوات التواصل مع الجماعات المسلحة الفاعلة في الصراع الدائر في سوريا».

(الأخبار، أ ف ب، الأناضول)

واصلت المبعوث الأممي إلى سوريا ستيفان دي ميستورا لقاءاته التشاورية في جنيف، حيث التقى أمس وفدي كل من روسيا وبريطانيا، وموفد «الائتلاف» المعارض هيثم المالح، وآخرين. «الائتلاف» عاد عن قراره السابق الذي أعلنه قبل أيام بمقاطعة دي ميستورا، بعد ضغوط غربية. وقال في بيان صدر عن مكتب الموفد الدولي أنه «كجزء من المشاورات الجارية، التقى دي ميستورا مع وفد من الاتحاد الروسي برئاسة الممثل الدائم في الأمم المتحدة في جنيف أليكسي بورودافكين...»



Portrait of a man in a suit, likely a diplomat or official mentioned in the text.

والجيش السوري أظهرها بوضوح معنى امتلاك الإرادة الصلبة لهزيمة الإرهاب وداعميه ومواصلة مكافحة خطر الإرهاب والارهابيين»، مشيراً إلى التقدير الواسع لدعم طهران ووقوفها بثبات إلى جانب سوريا التي تدافع عن وحدة أراضيها ومصالح شعبها.

(الأخبار، سانا)

والعقلاني ويدعموا السلام والأمن والاستقرار في المنطقة». وأعاد بروجردي تأكيده أن التفاوض على الملف الإيراني النووي يأتي بمعزل عن أي قضايا أخرى «ولن تساو مع إيران على قضايا حلفائها بهذا الاتجاه، رغم الضغط الأميركي عليها». بدوره، أكد المعلم أن «الشعب

تشير إلى أن «تركيا هي إحدى الجهات التي تقدم الدعم والإمداد للإرهابيين من أجل نقلهم إلى سوريا، في حين تقول تركيا إنها تقدم الدعم لبعض هذه المجموعات»، معتبراً أن هذه السياسة «تعارض المصلحة الوطنية لتركيا، وما نعقد الأمل عليه هو تغييرها، وأن يسلك المسؤولون الأتراك السبيل المنطقي

النصرة وداعش الإرهابيين، وحتى بعد صدور قرارات مجلس الأمن في هذا الخصوص». وبارك للمسؤولين السوريين «بانتصارات الجيش العربي السوري في القلمون وباقي مناطق سوريا». وأوضح أن المعلومات الدقيقة والفاحصة التي رصدت في المنطقة

كانت واضحة وأضاف: «السعودية أصبحت اليوم محور الاعتداء والإجرام ضد الأمة الإسلامية والعالم العربي، كما أن بعض بلدان المنطقة أضحت أداة لتنفيذ سياسات أمريكا والكيان الصهيوني»، ذاكراً بعض هذه البلدان «بما فيها قطر، وتركيا كانت منذ البداية حمالة الحطب لدعم تنظيمي جبهة



مرة تدعم الإرهابيين